

تفسير البحر المحيط

@ 89 @ .

الشتهاء : الفراخ ، أشطأ الزرع : أفرخ ، والشجرة : أخرجت غصونها . آزر : ساوى طولاً .
قال الشاعر : % (بمحنة قد آزر الضال نبتها % .
بجر جيوش غانمين وخب .
%) .

أي ساوى نبتها الضال طولاً ، وهو شجر ، ووزنه أفعل لقولهم في المضارع : يوزر . .
{ إِنْزَا فَتَحْنَا لَكَ فَتَحًا مَبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمْ
مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ
السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ
وَاللَّهُ جُنُودٌ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا *
لِيُذْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ
اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا } . .

هذه السورة مدنية ، وعن ابن عباس أنها نزلت بالمدينة ، ولعل بعضها منها نزل ،
والصحيح أنها نزلت بطريق منصرفه صلى الله عليه وسلم) من الحديبية ، سنة ست من الهجرة ،
فهي تعد في المدني . ومناسبتها لما قبلها أنه تقدم : { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا } الآية ،
وهي خطاب لكفار قريش ، أخبر رسوله بالفتح العظيم ، وأنه بهذا الفتح حصل الاستبدال ،
وآمن كل من كان بها ، وصارت مكة دار إيمان . ولما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم) من
صلح الحديبية ، تكلم المنافقون وقالوا : لو كان محمد نبياً ودينه حق ، ما صد عن البيت
، ولكان فتح مكة . فأكذبهم الله تعالى ، وأضاف عز وجل الفتح إلى نفسه ، إشعاراً بأنه من
عند الله ، لا بكثرة عدد ولا عدد ، وأكده بالمصدر ، ووصفه بأنه مبين ، مظهر لما تضمنه من
النصر والتأييد . والظاهر أن هذا الفتح هو فتح مكة . وقال الكلبي ، وجماعة : وهو
المناسب لآخر السورة التي قبل هذه لما قال : { أَضْغَا نَكَمُ هَا أَنْتُمْ هَوُؤْلَاءِ
تُدْعَوْنَ } الآية ، بين أنه فتح لهم مكة ، وغنموا وحصل لهم أضعاف ما أنفقوا ؛ ولو
بخلوا ، لصاع عليهم ذلك ، فلا يكون بخلهم إلا على أنفسهم . وأيضاً لما قال : { وَأَنْتُمْ

الْأَعْلَىٰ وَالْأَسْفَلَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الرَّحْمَٰنُ الْعَلِيمُ } ، بين برهانه بفتح مكة ، فإنهم كانوا هم الأعلى .
وأيضاً لما قال : { فَلَا تَهَيِّئُواْ وَتَدْعُواْ إِلَى السَّلَامِ } ، كان فتح مكة حيث
لم يلحقهم وهن ، ولادعوا إلى صلح ، بل أتى صناديد قريش مستأمنين مستسلمين مسلمين .
وكانت هذه البشرى بلفظ الماضي ، وإن كان لم يقع ، لأن إخباره تعالى بذلك لا بد من وقوعه
، وكون هذا الفتح هو فتح مكة بدأ به الزمخشري . وقال الجمهور : هو فتح الحديبية ؛
وقاله : السدي ، والشعبي ، والزهري . قال ابن عطية : وهو الصحيح . انتهى . ولم يكن فيه
قتال شديد ، ولكن ترام من القوم بحجارة وسهام . وعن ابن عباس : رموا المشركين حتى
أدخلوهم ديارهم . وعن الكلبي : ظهروا عليهم حتى